

التلقيح والاستنساخ البشري (بين الشريعة والقانون)

د. شعبان أبو عجيبة عصارّة

كلية القانون - الزاوية

جامعة السابع من أبريل

مقدمة:

حتى يتسنى بحث موضوع الاستنساخ وبيان العلاقة بينه وبين التلقيح الصناعي، لا بد من بيان مفهومه في ضوء بعض المصطلحات وأبعادها مثل عناصر الجين والخلايا والتقنية الوراثية، ثم تحديد أهم تطبيقاته وأخيرا بيان الموقف الشرعي والقانوني من الاستنساخ البشري وذلك في ثلاثة فروع متتالية.

الفرع الأول: مفهوم الاستنساخ

بدأت ثورة العقم عام 1978 عندما ولدت بانجلترا لونيبرا براون، أول طفلة أنابيب، إذا تمكن العلماء بعد أكثر من عقد من المحاولات الفاشلة من أن يخصبوا بويضات النساء خارج أجسادهن، وبذلك بدأت أول مراحل الحياة البشرية في طبق بالمعمل.

أن الثورة في علاجات أسباب العقم هيأت المسرح للتفكير في استنساخ البشر، ولولا براعة الأطباء في منابذة بويضات وحيا من البشر لما أمكن حتى التفكير في نقل كروموزومات خلية ناضجة إلي بويضة امرأة، لكن ثمة فجوة فكرية مابين الطرائق التي تنتج طفلا نصف جيناته من الأب ونصفها الآخر من الأم، وبين الاستنساخ الذي سينتج طفلا جيناته مطابقة لجينات البالغ المستنسخ⁽¹⁾.

إن جسم الإنسان يحتوي علي خلايا تمتلك الواحدة منها العدد الكلي للكروموزومات، وهي عند الإنسان 46 كروموزوما، وتتجمع هذه الكروموزومات في النواة، وهي تجمع كل العوامل الوراثية المسؤولة عن كل صفات الإنسان. ويستثنى من هذا السياق الخلايا الجنسية للإنسان وهي البويضة عند الانثى، والحيوان المنوي عند الرجل، فهما وحدهما فقط يحتويان علي نصف عدد الكروموزومات، وعند اتحادهما في عملية التكاثر تنتج "البويضة المخصبة" فيكون محتواها الكروموزومي كاملا، إذا يسهم الحيوان المنوي بنصف عدد الكروموزومات 23 وتسهم البويضة بالنصف الآخر، فعندما تبدأ البويضة المخصبة بالانقسام والتنامي يكون عدد كروموزوماتها مكتملا وهو 46 كروموزوما، بعدها ينتج الجنين الذي تحتوي خلاياه الجسمية علي العدد الكلي للكروموزومات.

والاستنساخ Cloning كلمة يونانية الجذور ومعناها اللغوي البرعم الوليد أو النتاج الوليد، وتستخدم في علم الأحياء لوصف الظاهرة المعروفة الواسعة الانتشار في الطبيعة لتكاثر بعض أنواع المخلوقات بانشطار البويضة أي دون اتصال جنسي، وهذه الظاهرة معروفة في التكاثر البشري أيضاً، أما انشطار البويضة الواحدة إلي شطرين وولادة توأمين متجانسين بعوامل الوراثة فيها - وهو ما ينطبق علي خمسين مليون توأم في الوقت

الحالي- وهذا الأمر من وجهة نظر العلمية هو عملية استنساخ تتجاوز حدود تلقيح البويضة بالنطفة المنوية⁽²⁾.

والاستنساخ مصطلح علمي وهو ترجمة لكلمة cloning الانجليزية، وهو يعني طريقة من طرق التكاثر في بعض الكائنات الدنيا، كما يطلق علي العمليات التي تجري في المختبرات المتخصصة لإنتاج نسخة طبق الأصل من الحيوان الذي تؤخذ منه الخلية الأم بصفاتهما الوراثية الكاملة.

ويعتقد بان العالم الانجليزي G.B.S Haldin أول من استعمل كلمة cloning سنة 1963 في وصف هذه العملية، وان كان فكرة الكلونة ترجع إلي عام 1938 عندما اقترح "هانس شبيمان" إجراء التجربة السحرية" وإن كان شبيمان لم يستخدم كلمة "كلون" وحتى الخمسينات لم يستعمل علماء البيولوجيا في تجاربهم علي الضفادع كلمة "كلون" بل أطلقوا علي ما يقومون به اسم "نقل النواة".

ولقد تمكن أخيراً عالم استكندي يدعي "اين ويلموت" من استنساخ نعجة عرفت باسم "Dolly" ليس عن طريق التلاقح الطبيعي بين الكائنات الذي يجري جنسياً، وإنما عن طريق خلايا جسدية بالغة، أي الاندماج اللاجنسي، واستخدم في استنساخ النعجة "دولي" ثلاث نعاج وذلك بأخذ المادة الوراثية من النعجة الأولى، واخذ خلية منزوعة النواة من النعجة الثانية، وزرع الناتج الجديد في رحم نعجة ثالثة، والمحصلة كانت "دولي"⁽³⁾.

الفرع الثاني: آفاق تطبيقات الاستنساخ البشري:

يقول العلماء أن فوائد الاستنساخ قد تكون هي ما سيؤدي بالكشف إلي مجال يمتلك حقا إمكانية تغيير العالم، فإذا سألت العلماء عما يفعلونه بكشف لغز الاستنساخ فسيصفون وفررة من الاحتمالات لا تقاوم، بل حتى العلماء ممن يقولون إنهم لا يحبون أن يروا إنسانا مستنسا نجاهم يتحمسون إلي التحرك

قدماً واستكشاف هذا المجال العلمي الجديد - يقولون - إن الضباب مازال يكتنف الطريق بعد "Dolly" لكنهم يستطيعون أن يروا بضع تفاصيل لما قد يكون أمامنا.

لعل أوضح استخدام للاستنساخ، الاستخدام الذي سيكون الأهم، هو إنتاج نسخ ممتازة من حيوانات المزرعة، وكذا استعمال هذه التقنية في إضافة جينات إلى الحيوانات بحيث تنتج البقرة مثلاً عقاقير من لبنها، إذ يمكن الاستنساخ العلماء لأول مرة من ينزعوا ما يريدون نزعاً من جينات وأن يضيفوا ما يريدون، عند تكوين الحيوانات المهندسة وراثياً، ونزع الجينات أمر حاسم في إنتاج حيوانات تستخدم أعضاؤها للنقل إلى الإنسان⁽⁴⁾.

يقول "كولمان" -عالم شارك في استنساخ دوللي- من المعروف أن أحد الأسباب الرئيسية في رفض جسم الإنسان لأعضاء الخنزير، وجود سكر معين على سطح أعضاء الخنزير، يتوقع بأنه إذا أمكن عزل جين الخنزير المسئول عن إضافة جزئ السكر هذا، فستكون أعضاء الخنزير أكثر قبولاً إذا زرعت في جسم الإنسان⁽⁵⁾.

وحتى الذين يعارضون استنساخ الإنسان، لا يستطيعون أن يرفضوا البحوث التي تمكن العلماء من تنمية بعض أجزاء الجسم لزرعها في أجسام المرضى، فهذا أمل يصعب تبذيره، إذ أن هناك نوعاً من البحوث محددة الأهداف يمكن قبولها في هذا المجال.

وفي غضون سنوات قليلة سيصبح بالإمكان نقل أعضاء من بعض الحيوانات كالخنزير، وزرعها في البشر المحتاجين إلى أعضاء جديدة والمهددين بالموت بسبب صعوبة توفيرها وكان علماء أمريكيون من "فرجينيا" قد نجحوا مؤخراً ولأول مرة في التاريخ في استنساخ خمسة خنازير يؤمل أن تكون أعضاؤها صالحة للنقل إلى المرضى من البشر في مرحلة لاحقة و بعد

أتمام بقية الخطوات العلمية، وقد أحدث هذا الانجاز العلمي صدى كبيرا و جعل بدوره فكرة استنساخ البشر أقرب إلى الواقع، على الرغم من الاعتراضات القوية التي تواجهها حاليا.

فإذا بدأنا بالاحتمال الأكثر إدهاشاً والأقل إثارة للجدل، فلنتأمل فكرة استخدام استنساخ الإنسان لتنمية الأعضاء للنقل، يحلم العلماء بالبداية بأكبر الأعضاء، نخاع العظام (6).

الطريقة هي أن نبدأ عملية الاستنساخ كما لو كنا نستسخ جنينا، نأخذ خلية من المريض وندمجها بخلية بويضة أزيلت نواتها، ستعدل البويضة توقيت المادة الوراثية للخلية البالغة، ثم تبدأ بالانقسام بعد أن أصبحت أشبه ما تكون بخلية جنينية جديدة تحمل جينات الفرد البالغ، وهنا تبدأ الخطوات الحاسمة فتضاف كيماويات توجه الخلية كي تصبح نخاع عظام، ومن ثم تدفع كل هذه الخلايا المستنسخة التي تحمل إمكانية أن تصبح أي جزء من الجسم كي تصبح خلايا نخاع عظام، وستكون النتيجة نخاعاً مطابقاً لنخاع المريض، أما الأصعب حقا فهو أن ننمي بالطريقة نفسها أعضاء بأكملها كالكلية والكبد (7).

من جهة أخرى فان ثمة عددا من الأطباء -على الأقل في عيادات العقم- يتطلعون إلى استخدام تقنيات الاستنساخ لمساعدة الأزواج في الإنجاب حتى ولو كان الأطفال بالفعل نساخ.

يقول "مارك ساور" خبير العقم بأحد المراكز الطبية بنيويورك أن أكثر ما يثير اهتمامه هو استنساخ خلايا الأجنة المبكرة للبشر، وهو يود لو اخذ كل خلية من جنين بشري مبكر ليستنسخها فينتج عددا من الأجنة المتطابقة بدلا من الطبق الواحد المعتاد، سيقوم بعد ذلك بزرع بعض الأجنة في رحم المرأة مباشرة، ثم يجمد ما يزيد للمحاولات التالية للحمل، أذن، فالأسهل - بدلا من دفع مبيض المرأة إلى أنتاج عشر بويضات أو أكثر - هو أن نكون خلايا جنين

واحد بإيلاج "دناها" في بويضات كانت ستستبعد مثلا لأن إخصابها لم يتم، أو أن تأخذ مثل هذه البويضات من شابات يتبرعن بها⁽⁸⁾.

وفي حالة عقم الزوجين هناك إمكانية أن نضيف "دنا" من إحدى خلايا الزوج إلى بويضة أزيل "دناها" من واهبة سينتج عن هذه البويضة نسيج للزوج أو أن يضيف الطبيب جينات إحدى خلايا المرأة إلى بويضة الواهبة لتنتج نسيخة للزوجة.

كما يمكن مساعدة النساء اللواتي يمكن إخصاب بويضاتهن ولكنهن يجهضن دائما والفكرة هي أن ينتج الجنين ثم يستنسخ بإضافة أنوية خلاياه إلى بويضات أفرغت من أنويتها مأخوذة من واهبات ليس لديهن مشاكل في الحمل، والقيام بعد ذلك بغرس هذه الأجنة في رحم المرأة العقيم، ويمكن قلب العملية بنقل السيتوبلازم السليم من بويضة الواهبة إلى بويضة المرأة العقيم⁽⁹⁾.

قد تبدو هذه التطبيقات خطيرة ولكن بعض العلماء واغلب اختصاصي العقم يجادلون بحماس بان هناك فوائد لا تحصى للتقنيات المرتبطة بالاستنساخ و قد لا يكون هذا سوى البداية، وعلى الفقهاء والعلماء والسياسيين وصانعي القانون أن يحسموا أمرهم فيما إذا كان التكاثر اللاجنسي مقبولا.

الفرع الثالث: مشروعية الاستنساخ البشري في الفقه والقانون:

أن الجدل بشأن الاستنساخ لهو أكثر من مجرد حوار عن خطوة جديدة في تقنيات تحسين التكاثر، في الحقيقة أنها لحظة من اللحظات الحرجة التي يجد المرء فيها الفرصة للتفكير في أشياء خطيرة جدا، ليس في الوراثة وفي معنى كلمة أم أو أب أو قريب فقط، وإنما في مجمل العلاقة بين العلم والمجتمع أيضا، ويهيئ لنا الاستنساخ الفرصة كي نقرر ما إذا كنا سنصبح عبيد تقدم غير محكوم، أم أننا سنبقى بشرا أحرارا توجه تقنيتنا لتعزيز كرامتنا الإنسانية. سنحاول طرح كل الآراء بشأن هذا الموضوع، وعلى النحو الآتي:

أولاً: في الشريعة الإسلامية:

إن الله سبحانه وتعالى رفع من مكانة العلم والعلماء حتى جعلهم في مكانة جليلة بل في مرتبة الملائكة، وهم الذين شهدوا الله سبحانه وتعالى بالوحدانية، كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁰⁾.

كما حث الإسلام على العلم و التقدم العلمي، وهو فريضة يوجبها الدين، والإسلام يحترم العلم الذي يخدم الإيمان والأخلاق والقيم الإنسانية، إلا انه يحرم ما يسمي بالعلم الذي ينطلق سائباً بلا هوية، وبلا معالم تهديه أو ضوابط توقفه عند حدوده.

فالاستنساخ البشري بالمعنى الذي سبق بيانه لا يتفق شرعا مع مفهوم الخلق الذي حدده الله سبحانه وتعالى والذي لم يتعد ثلاث صور محددة المعالم⁽¹¹⁾.

الصورة الأولى: خلق الله تعالى آدم أب الإنسان من التراب بهيئة كاملة وبأحسن تقويم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁽¹²⁾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾⁽¹³⁾، وقوله جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾⁽¹⁴⁾.

الصورة الثانية: خلق الله تعالى حواء أم الإنسان من نفس سيدنا آدم وبهيأة كاملة أيضا قال عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها⁽¹⁵⁾.

الصورة الثالثة: خلق الله تعالى ذرية آدم وحواء بقدرته من حاصل تزاوج الذكر والأنثى بإخصاب بويضة المرأة بمني الرجل لقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾⁽¹⁶⁾.

وهكذا نستخلص مما سبق إن خلق الإنسان من ذرية ادم وحواء لا يخرج عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى أي تلقيح بويضة الأنثى بحيمن الرجل، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (17).

كما نستخلص أيضا أن الاستنساخ بمفهومه العلمي الذي عرفناه لا يندرج تحت أي صورة من صور الخلق السابقة.

وقد اتخذت قرارات عدة بشأن الاستنساخ في اختتام الدورة العاشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقدة بجدة 1998 إذ جاء فيها:

(إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورته العشرة قد بحث موضوع الاستنساخ وبين انه من الواضح والجلي إن سنة الله تعالى في الخلق إن ينشأ خلقه من اجتماع نطفتين اثنتين تشتمل نواة كل منهما على عدد من الصبغيات (الكروموسومات) يبلغ نصف عدد الصبغيات التي في الخلايا الجسدية للإنسان).

فإذا اتحدت نطفة الأب (الزوج) التي تسمى بالحيوان المنوي بنطفة الأم (الزوجة) التي تسمى البويضة، تحولتا معا إلى نطفة أمشاج أو لقيحه، تشتمل على حقبة وراثية كاملة، وتمتلك طاقة التكاثر، وبعد غرسها في رحم الأم تنتمي وتتكاثر وتكون مخلوقا "مكتملا" بإذن الله تعالى، وهي من مسيرتها تلك تتضاعف فتصير خليتين متماثلتين فأربعا فثمانيا ثم توصل تضاعفها حتى تبلغ مرحلة تبدأ عندها بالتمايز والتخصص، فإذا انشطرت إحدى خلايا اللقيحة في مرحلة ما قبل التمايز إلى شطرين متماثلين يولد منهما توأمين متماثلان، وقد أمكن في الحيوان إجراء فصل اصطناعي لأمثال هذه اللقائح، فتولدت منها

توائم مماثلة، ولم يبلغ بعد حدوث ذلك في الإنسان، وقد عد ذلك نوعاً من الاستنساخ أو التنسيل لأنه يولد نسخاً أو فسائل متماثلة وأطلق عليه اسم الاستنساخ بالتشطير⁽¹⁸⁾.

وثمة طريقة أخرى لاستنساخ مخلوق كامل، تقوم على اخذ الحقيبة الوراثية الكاملة على شكل نواة من خلية من خلايا الجسم، وغرسها في خلية بويضة منزوعة النواة، فتتكون بذلك لقححه تشتمل على حقيبة وراثية كاملة، وهي في الوقت نفسه تمتلك طاقة التكاثر، فإذا زرعت في رحم الأم تنامت وتكاملت وولدت مخلوقاً مكتملاً بإذن الله تعالى، وهذا النمط من الاستنساخ الذي يعرف باسم "النقل النووي" أو "الإحلال النووي للخلية البويضة" هو الذي يفهم من مصطلح الاستنساخ وهو الذي حدث في النعجة دوللي.

إذن، فالاستنساخ هو: توليد كائن حي أو أكثر أما بنقل النواة من خلية جسدية إلى بويضة منزوعة النواة، وأما بتشطير بويضة مخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء.

إن المجمع بعد أن قام بدراسة موضوع الاستنساخ من جميع جوانبه وبحثه في صورة مستفيضة، قرر تحريم الاستنساخ البشري بطريقته المذكورتين أو بأي طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري، وأنه إذا حصل تجاوز للحكم الشرعي المحرم فإن آثار تلك الحالات التي يقم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحماً أم بويضة أم حيواناً منوياً أم خلية جسدية للاستنساخ، كما تبنى المجمع الجواز الشرعي للأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان في حدود الضوابط الشرعية بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد⁽¹⁹⁾.

وناشد المجمع الدول الإسلامية إصدار القوانين والتشريعات اللازمة لخلق الأبواب أمام الجهات المحلية أو الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء

للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميدانا " لتجارب الاستنساخ البشري والترويج لها⁽²⁰⁾.

وأكد المجمع ضرورة تنظيم التعامل مع المستجدات العلمية بنظرة إسلامية، وتجنب توظيفها بما يناقض الإسلام. والتثبت قبل اتخاذ أي موقف استجابة لقولة تعالى " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم "⁽²¹⁾.

وعلى المستوى العربي ذهبت العديد من البلاد العربية إلى أن الاستنساخ البشري إجراء غير أخلاقي ولا يتفق مع كرامة الإنسان⁽²²⁾.

وفي إطار الجامعة العربية تقدمت بعض الدول بطلب إعداد معاهدة عربية لحظر الاستنساخ البشري، فضلا عن نشر إعلان عربي في هذا الخصوص، وبالفعل جرى درس هذا الموضوع من قبل مجلس وزراء الصحة العرب وقرر تشكيل فريق عمل متخصص لإعداد دراسة عن هذه المسألة⁽²³⁾.

وقد جاء رأي الكنيسة مطابقا لرأي الشريعة الإسلامية ودعا رجال الدين المسيحي إلى رفض فكرة استنساخ البشر لأنه يعد انتهاكا للروح المقدسة التي غرسها الله سبحانه وتعالى في الرجل والمرأة وهو خطيئة على الصعيد الروحي وتدخل في خلق الله تعالى⁽²⁴⁾.

يقول القس البيرت موراشيسكي - من المؤتمر القومي للأساقفة الكاثوليك بالولايات المتحدة، أن استنساخ البشر إهانة لكرامة الإنسان، ثم أوضح "موراشيسكي" التفسير الكاثوليكي قائلاً، أعطيت الحرية لأدم وحواء في الجنة إنما بقيد واحد يؤدي انتهاكه إلى الموت، مخ البشر وفقا لذلك الذكاء وحرية الإرادة. بحيث يمكنهم أن يبحثوا عن الحقيقة وأن يدركوها وأن يسعوا وراء الطبيب والاستنساخ في الحدود المسموحة لسيادة جنس البشر، ليست هناك بيئة على أن الرب قد منح البشر السلطة لتغيير طبيعتهم أو الأسلوب الذي به

يجيئون إلى الوجود، أن من يستسخون طفلاً يهينون عملية الإنجاب، ويعاملون الطفل على أنه شيء يحاولون أن يغيروا هويته وان يتحكموا فيها، وانتهى موراشيسكي إلى القول لا يجوز أن تمس الطبيعة البيولوجية لأي شخص⁽²⁵⁾.

ثانياً- في الفقه والقانون الوضعي:

في المجال الدولي تنبث الجمعية العامة للأمم المتحدة وبإجماع 185 دولة، الإعلان العالمي عن المجموع المورثي البشري "مجموعة الصيغيات أحادية الصبغة" وهو ما سبق وأن تبنيه منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية "اليونسكو" وقد جرى حظر الاستنساخ لأغراض التكاثر البشري على أساس أن المجموع المورثي البشري هو جزء من تراث البشرية وأن الأبحاث الوراثية يجب أن تحترم كرامة الفرد وحرية وحقوقه⁽²⁶⁾.

كما أدان المدير العام لمنظمة الصحة العالمية استنساخ البشر قائلًا إن المنظمة تعد استخدام الاستنساخ لإنتاج نسخ متشابهة من البشر أمر غير مقبول أخلاقياً، لأنه سيؤدي إلى انتهاك بعض المبادئ الأساسية التي تحكم الإنجاب والتي تتضمن احترام كرامة الإنسان وحماية سلامة المورثات الإنسانية⁽²⁷⁾.

وفي أوروبا شكل "جاك سانتر" رئيس المجلس الأوروبي مجموعة من تسعة خبراء في العلوم والقانون والفلسفة واللاهوت وطلب رأيهم في النتائج الأخلاقية للاستنساخ⁽²⁸⁾.

بل وقد دخل بعض قادة العالم إلى الحلبة فور ذبوع خبر الاستنساخ وفي مقدمتهم الرئيس "بيل كلينتون" الذي قال في يونيو 1997 أن استنساخ DOLLY أثار قضايا أخلاقية خطيرة لاسيما فيما يخص الاستعمال المحتمل لهذه التكنولوجيا في استنساخ الأجنة البشرية، وقد تحالف مع قادة العالم في لقاء قمة الثمانية الكبار الذي عقد في "دينفر كلورادو" ووقف ضد استنساخ البشر

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تعرض فيها قضية أخلاقية أمام قمة اقتصادية⁽²⁹⁾.

وبعد ذلك صدقت لجنة العلوم التابعة لمجلس النواب الأمريكي علي تشريع يحظر أبحاث الاستنساخ البشري في أول تحرك من جانب لجان الكونجرس بشأن تلك المسألة المثيرة للجدل، ويحظر مشروع القانون استخدام الأموال الاتحادية في تمويل التجارب علي تكنولوجيا نقل الخلايا في عمليات الاستنساخ البشري⁽³⁰⁾.

أما في مجال التشريعات الداخلية فلم تصدر قوانين خاصة-حسب علمنا- واجبة التطبيق عندما ترتكب المختبرات أو الأطباء مخالفات تتجاوز فيها قواعد حظر الاستنساخ البشري، وإذا كان الاستنساخ غير محرم لانقضاء عده جريمة بنص القانون، ألا أن ذلك لا يمنع عده من تجارب الطيبة التي ينظم القانون شروط ممارستها.

وبناء علي ما تقدم فانه أصبح ضرورياً أن تستعد الدول ولاسيما الدول العربية والإسلامية التي تعد الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي لقواعد تنظيم شؤون الأسرة فيها، لدراسة هذه المسألة ووضع الحلول لها، مادامت احتمالات نجاح عمليات استنساخ البشر مستقبلاً قد أصبحت ممكنة ومحتملة بشكل جدي⁽³¹⁾.

وعليه لا بد من وضع ضوابط عامة تتضوي تحتها جميع حالات الاستنساخ البشري والتي أهمها الركون إلي حالة الضرورة أساساً لمشروعية الاستنساخ البشري، وان يكون ذلك لأجل مصلحة المريض المطلقة مع الضرورة تبصيره بكل النتائج والاحتمالات المتوقعة علي أن يكون الهدف هو تحقيق مصلحة أسرية عائلية أو تحقيق مصلحة اجتماعية.

- وتماشيا مع الواقع الفعلي والاجتماعي الحالي، وتنسيقا مع البعد العلمي المنظور يمكن أن تحدد بعض الحالات التي يجوز فيها الاستنساخ البشري:
1. يمكن الاستفادة من هذه التقنية في صناعة الأنسجة الحية في الإنسان، وذلك بهدف صناعة نسيج واحد متكامل مثل النسيج العصبي من خلال تحفيز نمو الخلايا بشكل منتظم وذلك لاستبدال التالف منها بسبب المرض أو غيره⁽³²⁾.
 2. حالات العقم المستعصية سواء عقم الزوج أو الزوجة إذ تقتضي الضرورة ذلك عندما لا تنجح الوسائل الطبية الأخرى في علاج الحالة⁽³³⁾.
 3. يمكن الاستفادة من تقنية الاستنساخ في تطوير صناعة الأعضاء البشرية من خلال تحفيز إعادة الأجزاء المصابة في ذلك العضو من جسم الإنسان والتي لا تنمو عادة بعد الإصابة مثل الجزء الميت من القلب عقب الجلطة القلبية أو إعادة نمو الأعصاب، ولاسيما الجهاز العصبي المركزي عند البالغين، وبما انه من غير المقبول تنمية أعضاء من جنين بشري في رحم امرأة فانه من المقبول تنمية خلية مفردة إلي عضو مكتمل في رحم صناعي.

خلاصة القول أن الناس لن يقبلوا الاستنساخ بسهولة بعد إن اكتسبت الكلمة هذه الصورة المرعبة، ونعتقد أن الاستنساخ قد أصبح كلمة بذيئة عند قادة السياسة والفكر والقانون، حتى إننا لا نتصور أن يقف سياسي ويقول: دعنا نبدأ بالاستنساخ إلا انه لن نجد هذا الحق والاستياء بين من يمكنهم إجراء الاستنساخ⁽³⁴⁾.

قال اوبنهايمر قبل صناعة القنبلة الذرية "إذا رأيت تقنية جميلة فعليك أن تمضي وتنفذها" ثم -بعد تفجير قنبلة هيروشيما وقنبلة نكازاكي- نراه يقول في خطاب عام 1947 "لقد عرف الفيزيائيون الخطيئة..."⁽³⁵⁾.

إن الأمر في النهاية قد يصبح مجرد تغيير في اللفظ، إن البشر سيستنسخون يوما ما، لكننا قد لا نسمي العملية استنساخاً.

الهوامش:

- (1) هدي صالح عماش، المفهوم العلمي للاستنساخ البشري، منشورات بيت الحكمة، بغداد سلسلة المائدة الحرة، العدد 44، لسنة 1999 ف، ص10.
 - (2) يلجأ المزارعون منذ مئات السنين إلي تطبيق هذه الظاهرة تقنيا ومن ذلك علي سبيل المثال شطر جذع من جذر نبتة من النباتات وزرعه لتنشأ عنه نبتة جديدة مكانها لا استنسخت بموصفاتهما عن النبتة الأولى، وطبق العلماء ذلك علي الحيوانات من الضفادع والفئران ونجحوا في ذلك منذ سنوات عديدة.
 - سميرة عايد الديات -نقل وزرع الأعضاء البشرية دار الثقافة للنشر والتوزيع- عمان 1999 ف، ص204.
 - (3) جينا كولاتا -الطريق اليد وللب- ترجمة احمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 ف، ص68.
- في الساعة الخامسة من مساء يوم 5 يوليو 1996 خرجت إلي عالمنا اشهر نعجة في التاريخ ، بالرأس أولا والقدمين الأماميين، ولدت في حظيرة عل الطريق من معهد روزلين ببلدة روزلين باستكلندا .لقد جاءت هذه النعجة الشهيرة عن طريق اخذ بويضة من نعجة غير مخصبة وجري تفريغها من نواتها أي من (D.N.A) وبذلك جردت هذه البويضة من العوامل الوراثية فيها وأصبحت بذلك مجرد مستودع غذائي فقط، ثم اخذ خلية جسيمة من نسيج ثدي النعجة المراد استنساخها ،وبما إنها خلية جسيمة لذا فإنها تحتوي علي العدد الكلي للكرومات أي أنها تحتوي علي كل العوامل الوراثية للنعجة وليس نصفها ،ثم لقحت البويضة الفارغة من (D.N.A) بالخلية الغير الجنسية والمحفوظة بنواتها وقد جري تلقيح البويضة بتقنيات كهربائية ومجزية عالية، وهكذا جري الحصول علي خلية ملقحة أخذت بالنمو والانقسام، ثم زرعت هذه الخلية التي تحمل مواصفات (نواة) النعجة الأولى في رحم نعجة ثالثة .وبعد انتظار مرور مدة الحمل ،أنجبت النعجة الحامل نعجة لها تمام مواصفات النعجة الأولى ،التي حققت النواة الخاصة بها الخلية الفارغة الخاصة بالنعجة الثانية.
- مجلة الشراع العراقية، الصادرة بتاريخ 24-3-1997.
 - (4) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص215.
 - (5) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص215.
 - (6) مجلة سيدني، السنة العشرون، العدد999، إبريل، مايو 2000، ص114 وما بعدها.

- يقوم نخاع العظام بصناعة كرات الدم الحمراء التي تنقل الأكسجين إلى الدم، وكرات الدم البيضاء التي تنقل الجهاز المناعي، وصفائح الدم التي تعمل على تجلط الدم.
- (7) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص14.
- (8) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص224.
- (9) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص226.
- (10) سورة آل عمران، الآية 18.
- (11) ضاري خليل محمود، مشروعية الاستنساخ البشري في القانون، منشورات بيت الحكمة، سلسلة المائدة الحرة، العدد 44 لسنة 1990ف، ص69.
- يضاف إلي الصور السابقة صورة خلقه سبحانه وتعالى للسيد المسيح لقوله تعالى ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾ (سورة التحريم، آية 12) وقوله تعالى " والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا " (سورة الأنبياء، آية 91).
- (12) سورة التين، آية 4.
- (13) سورة مريم، آية 9.
- (14) سورة فاطر، آية 11.
- (15) سورة الأعراف، آية 189.
- (16) سورة الحجرات، آية 13.
- (17) سورة المؤمنون، آية 14.
- (18) سميرة عايد الديات، المرجع السابق، ص209.
- (19) مجموعة أعمال الدورة العاشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي انعقدت بجدة في الفترة ما بين 28 يونيو إلى 3 يوليو 1998.
- (20) وقد صدرت العديد من الفتاوى من فقهاء المسلمين في عدد من الدول العربية، تتفق جميعها على رفض استنساخ البشر.
- قال مفتي الديار المصرية أن استنساخ البشر من عمل الشيطان، ولكنه يمكن أن يكون مقبولاً إذا اجري استخدامه في توفير بعض الأعضاء البشرية لمن يحتاجونها. انظر جريدة السفير بتاريخ 17/3/1997ف.
- في حين دعا الشيخ محمد بن صالح العثيمين من السعودية، إلى إعدام من ينفذ عمليات استنساخ بشري. انظر جريدة الديار بتاريخ 14/3/1997ف.

وأكد الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان إن استنساخ البشر أمر غير مشروع قطعاً أو يقيناً. جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 22/1997/3.

كما أكد مفتي جبل لبنان الشيخ محمد علي الجوزو على تحريم استنساخ البشر. جريدة الديار العراقية بتاريخ 1997/4/2 ف.

(21) سورة النساء، الآية 83.

- يقول الدكتور يوسف القرضاوي "إن موطق الشرع الإسلامي بنصوصه المطلقة وقواعده الكلية ومقاصده العامة يمنع دخول هذا الاستنساخ في عالم البشر لما يترتب عليه من مفساد.

- جريدة الرافدين (العراق) العدد 134 الثلاثاء 22-28 أيار 2001 ف.

- وهناك من يرى شرعية الاستنساخ البشري في حدود المصلحة البشرية على أساس التكاثر غير الجنسي موجود في الطبيعة لكثير من الكائنات الدنيا مثل البكتيريا والأميبا وكذلك في النباتات بصورة عامة. ثم انه لا يوجد في القران الكريم ما يفيد تحريم الاستنساخ البشري.

- انظر: عوني الفخري، مشروعية الاستنساخ البشري في القانون، منشورات بيت الحكمة، سلسلة المائدة الحرة، عدد 44 تحت عنوان "الاستنساخ البشري"، ص 91/90.

- وهناك من يرى إن خلق الإنسان من ذكر وأنثى ليس قيماً يحترز بيه عن عدم إمكان حدوث الحمل والولادة بغير ذلك، بل هو قيد اكتري فاكثر ما يتولد بيه الناس هو عن طريق التزاوج بين الذكر والأنثى، ولكن تخصيص الشيء بالذكر لا ينفي ما عداه، ويضيف هذا الاتجاه، أن الشريعة المسألة محل البحث تعود لانتقاء دليل على الحرمة والأصل في الأفعال المباحة.

- انظر هذا الرأي: محمد محروس، مشروعية الاستنساخ البشري في الشريعة الإسلامية، منشورات بيت الحكمة، سلسلة المائدة الحرة، عدد 44، ص 43، ص 63.

(22) لقد جرى تأكيد حظر الاستنساخ البشري في ندوات عدة عقدت على مستوى الوطن العربي انظر:

- ندوة عقدت في مصر بعنوان "استنساخ الأعضاء وتداعيه" بتاريخ 16 مارس 1997 ف.

- ندوة عقدت بجامعة قطر بعنوان "الاستنساخ الجيني أسسه وأثاره".

- ندوة عقدت في جامعة الكويت بتاريخ 23 مارس 1997 ف بعنوان "الاستنساخ

البيولوجي بين الرفض والقبول".

- مشار إليه: سميرة عايد الديات، المرجع السابق، ص214.
- وفي آذار 1999 عقدت ندوة ببغداد بعنوان "الاستنساخ البشري"، وتحت إشراف بيت الحكمة ضمن سلسلة المائدة الحرة إلا أن الندوة لم تخرج بتوصيات محددة.
- (23) مشار إليه: ضاري خليل محمود، ندوة الاستنساخ البشري، المرجع السابق، ص 72.
- (24) انظر رأي المطران بشارة الراعي، راعي ابراشية جبل الموارنة، ورأي مطران الروم الارثوذكس في لبنان المطران جورج خضر. مشار إلى الريان: مجلة الحياة الصحية اللبنانية العدد 18 أيار 1997ف.
- انظر رأي الأب موسى أسقف الشباب الارثوذكس نائبا عن الأب شنودة الذي كان ضمن " استنساخ الخلايا وتداعيه" بالقاهرة (مشار إلى الندوة سابقا).
- انظر هذا الرأي أيضا في ندوة " الأخلاق والقيم في ضوء الثورة البيولوجية الحديثة " عقدت الندوة في عمان بالأردن بتاريخ 1997/3/25ف ونشرت توصياتها في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ 1997/3/26ف.
- (25) جاءت تصريحات القس البيروت موراشيسكي، عندما دعت لجنة رئاسية من الكونجرس الأمريكي لشرح وجهة النظر الكاثوليكية بخصوص مدى شرعية الاستنساخ البشري.
- مشار إلى هذه التصريحات: جينا كولاتا، المرجع السابق، ص21.
- (26) عوني الفخري، المرجع السابق، ص87.
- مشار إلى إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة، وإعلان منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية في: مجلة (ألف باء) العراقية، بتاريخ 1999/1/6ف.
- (27) انظر جريدة الحياة الأردنية بتاريخ 1997 / 3 / 19 ف.
- (28) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص37.
- (29) جينا كولاتا، المرجع السابق، ص211.
- (30) جريدة الراي الأردنية رقم 9824 بتاريخ 1997-7-31ف.
- (31) في اليوم السابق ليوم كذبة ابريل عام 1978ف دفع ناشر شهير بنيويورك هو "ج.ب.ليبينكوف" إلى المطبعة كتابا وضعه كاتب اسمه "دافيد رورفيك" في هذا الكتاب كشف المؤلف عن انه اشترك فيما لا يخطر علي البال، لقد ساعد مليونيرا غريب الأطوار في أن يستنسخ نفسه. ويحكي هذا الكتاب قصة رجل من أصحاب الملايين اتصل بالكاتب والصحفي الشهير "دافيد رورفيك" وهو من كبار المهتمين بتقنيات الهندسة الوراثية، وكان هدف المليونير واضحا، يريد استنساخ نفسه مقابل أي مبلغ من الدولارات، ووافق "رورفيك" علي العرض والتعاون معه، وقام بدور الوسيط في تنفيذ

- اغرب تجربة طبية في التاريخ واكثرها اثارة ورعبا، وأكد المؤلف بان التجربة جرت بنجاح وان الطفل المستنسخ حي يرزق ألان يدرس ويلعب ويتابع نموه الطبيعي ويعد أول طفل مستنسخ في العالم، ويروي المؤلف أن الفحوص الطبية كافة أثبتت أن هذا الطفل هو بالفعل نسخة من المليونير المزعوم.
- وفي يوم 5 ابريل 1982ف صدر قرار من محكمة فيلادلفيا يفيد بان الكاتب زيف وتدليس وانه عبارة عن زاوية خيالية وان لا وجود لصبي نسيخ.
- مشار إليه: جينا كولاتا، المرجع السابق، ص88-94.
 - وأيضا سميرة عايد الديبات، المرجع السابق، ص 212، هامش(1).
 - علما بان الكتاب المذكور بعنوان (تناسخ الأجساد قصة استنساخ كائن بشري)، وترجمه إلي العربية ديكران جمبخان. دار الحكمة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1995ف.
 - (32) هدى صالح مهدي عماش، المرجع السابق، ص14.
 - (33) عوني الفخري، المرجع السابق، ص98.
 - (34) قال وزير الصحة البريطاني إن بلاده ستسن تشريعا لحظر استنساخ البشر في محاولة لتهدئة المخاوف بشأن التقنيات الجديدة في هذا المجال، وأصناف أن الحكومة ستعمل علي تقديم هذا التشريع بأسرع ما يمكن لضمان أن يكون التقدم في علوم الجينات من اجل الخير لا الشر، ويصدر هذا القانون ستكون بريطانيا أول دولة في العالم تحظر استنساخ البشر.
 - صحيفة العرب اليوم العدد 1427 بتاريخ 20/4/2001ف.
 - (35) عبد الرحمن الفاسي، تحليل الاتجاهات في الموقف الأخلاقي في قضايا الإنجاب الصناعي، بحث منشور ضمن أعمال ندوة القضايا الخلقية الناجمة عن تحكم في تقنية الإنجاب، نوفمبر 1986ف، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدوريات، ص22.